ما منعهم من ذلك إلا طلب الهلاك في الدنيا قاله الزجاج وجوز صاحب الفينان تقدير انتظار أي ما منعهم إلا انتظار الهلاك وقدر الواحدي تقدير أي ما منعهم إلا تقدير ا تعالى اتيان الهلاك عليهم وقال إن الآية فيمن قتل ببدر وأحد من المشركين ويأباه بحسب الظاهر كون السورة مكية إلا ما استثنى والداعي لتقدير المضاف أنه لو كان المانع من إيمانهم واستغفارهم نفس اتيان الهلاك كانوا معذورين وأن عذاب الآخرة المعد للكفار المراد من قوله تعالى أو يأتيهم العذاب قبلا منتظر قطعا وقيل لأن زمان اتيان العذاب متأخر عن الزمان الذي اعتبر لايمانهم واستغفارهم فلا يتأتى ما نعيته منهما .

واعترض تقدير الطلب بأن طلبهم سنة الأولين لعدم إيمانهم وهو لمنعهم عن الإيمان فلو كان منعهم للطلب لزوم الدور ودفع بأن المراد بالطلب سببه وهو تعنتهم وعنادهم الذي جعلهم طالبين للعذاب بمثل قولهم اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الخ وتعقب بأن فيهم من ينكر حقية الإسلام كما أن فيهم المعاند ولا يظهر وجه كون الطلب ناشئا عن إنكار الحقية وكذا لا يظهر كونه ناشئا عن العناد واعترض أيضا بأن عدم الإيمان متقدم على الطلب مستمر فلا يكون الطلب مانعا .

وأجيب بأن المتقدم على الطلب هو عدم الإيمان السابق وليس الطلب بمانع منه بل هو مانع مما تحقق بعد وهو كما ترى وقيل المراد من الطلب الطلب الصوري اللساني لا الحقيقي القلبي فإن من له أدنى عقل لا يطلب الهلاك والعذاب طلبا حقيقيا قلبيا ومن الطلب الصوري منشؤه وما هو دليل عليه وهو تكذيب النبي صلى ا عليه وسلّم بما أوعد به من العذاب والهلاك من لم يؤمن با D فكأنه قيل ما منعهم من الإيمان با تعالى الذي أمر به النبي E إلا تكذيبهم إياه بما أوعد على تركه ولا يخلو عن دغدغة .

وقيل الحق أن الآية على تقدير الطلب من قولك لمن يعصيك أنت تريد أن أضربك وهو على تنزيل الاستحقاق منزلة الطلب فكأنه قيل ما منعهم من ذلك إلا استحقاق الهلاك الدنيوي أو العذاب الأخروي وتعقب بأن عدم الإيمان والاتصاف بالكفر سبب للاستحقاق المذكور فيكون متقدما عليه ومتى كان الاستحقاق مانعا منه انعكس أمر التقدم والتأخر فيلزم اتصاف الواحد بالشخص بالتقدم والتأخر وأنه باطل وأجيب بمنع كون عدم الإيمان سببا للاستحقاق في الحقيقة وإنما هو سبب صوري والسبب الحقيقي سوء استعداداتهم وخباثة ماهياتهم في نفس الأمر وهذا كما أنه سبب للاستحقاق كذلك هو سبب للاتصاف بالكفر وإن شئت فقل هو مانع من الإيمان ومن هنا قيل إن المراد من الطلب الطلب بلسان الاستعداد وأن مآل الآية ما منعهم من ذلك إلا استعداداتهم

وطلب ماهياتهم لضده وذلك لأن طلب استعداداتهم للهلاك أو العذاب المترتب على الضد استعداد للضد وطلب له وربما يقال بناء على هذا أن المفهوم من الآيات أن الكفار لو لم يأتهم رسول ينبههم من سنة الغفلة يحتجون لو عذبوا بعدم إتيانه فيقولون منعنا من الإيمان أنه لم يأتنا رسول ومآله منعنا من ذلك الغفلة ولا يجدون حجة أبلغ من ذلك وأنفع في الخلاص وأما سوء الاستعداد وخباثة الذات فبمراحل من أن يحتجوا به ويجعلوه مانعا فلا بعد في أن يقدر الطلب ويراد منه ظاهره وتكون الآية من قبيل قوله :